شرح الأربعين النووية

الحديث الثاني

مراتب الدِّين وأشراط الساعة

الجزء الثالث

اللقاء الخامس

الحديث الثاني: مراتب الدِّين الإسلامي وأشراط الساعة

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيضاً قَال: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ –ﷺ– ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي –ﷺ– فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–:الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ الله، وَتُقِيْمَ الصَّلاَة، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البيْتَ إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِه، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآَخِر، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الْحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ". رواه مسلم

يَشتمِلُ هذا الحَديثُ الجليلُ على شَرحِ وَظائفِ العِباداتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ؛ مِن عُقودِ الإيمانِ، وأعمالِ الجوارحِ، وإخلاصِ السَّرائرِ، والتَّحفُّظِ مِن آفاتِ الأعمالِ؛ فقد اشتَمَلَ على أُصولِ الدِّينِ ومُهمَّاتِه وقَواعدِه، حيثُ يَرْوِي أبو هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ الرَّسولَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد بيَّن معنى الإيمانِ والإسلامِ والإحسانِ، عندَما أتاهُ جِبريلُ عليه السَّلامُ على صُورةِ رجُلٍ وسأَلَه، وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بارزًا للنَّاسِ، أي: ظاهرًا لهم، جالسًا معهم، فجاءه أمينُ الوحيِ جِبريلُ عليه السَّلامُ يَسأَلُ عنِ الإسلامِ ليُعلِّمَ الناسَ دِينَهم، فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأجابَهُ: أنْ تَعبُدَ اللهَ، ولا تُشرِكَ به شيئًا، فتُطيعَه مع الخُضوعِ والتذلُّلِ والحُبِّ. وتُقيمَ الصَّلاةِ، وإقامةُ الصَّلاةِ يكون بالمُحافظةِ على أداءِ الصَّلواتِ الخَمْسِ في أوقاتِها، بشُروطِها وأركانِها وواجباتِها. وتُؤتِيَ الزَّكاةَ، وهو إخراجُ الزَّكاةِ المفروضةِ، وصَرْفُها لمُستحقِّيها، وهي عِبادةٌ ماليَّةٌ واجِبةٌ في كُلِّ مالٍ بلَغَ المِقدارَ والحدَّ الشرعيَّ، وحالَ عليه الحَوْلُ –وهو العامُ القمَريُّ أو الهِجريُّ– فيُخرَجُ منه رُبُعُ العُشرِ، وأيضًا يَدخُلُ فيها زَكاةُ الأنعامِ والماشيةِ، وزَكاةُ الزُّروعِ والثِّمارِ، وعُروضِ التِّجارةِ، بحَسَبِ أنْصابِها، ووقتِ تَزكيتِها. وفي إيتاءِ الزَّكاةِ على وَجهِها لِمُستحِقِّيها زِيادةُ بَرَكةٍ في المالِ، وجَزيلُ الثَّوابِ في الآخرةِ. وللبُخلِ بها ومَنعِها مِن مُستحقِّيها عواقبُ وخيمةٌ في الدُّنيا والآخِرةِ. وأنْ تَصومَ رَمَضانَ، والصِّيامُ الإمساكُ بنيَّةِ التَّعبُّدِ عن الأكلِ والشُّربِ، وسائرِ المُفطِراتِ، وغِشيانِ النِّساءِ، مِن طلوعِ الفجرِ إلى غروبِ الشَّمسِ. ثمَّ سَأَله جِبريلُ عليه السَّلامُ عن عنِ الإيمانِ ليُعلِّمَ الناسَ دِينَهم، فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أنْ تُؤمِنَ باللهِ، وهو التَّصديقُ والإقرارُ بوُجودِه، وأنَّه تعالى مَوصوفٌ بصِفاتِ الجَلالِ والكمالِ، وأنَّه تعالى مُنزَّهٌ عن صِفاتِ النَّقصِ، وأنَّه واحدٌ حَقٌّ، صمَدٌ فردٌ، خالقٌ جَميعَ المخلوقاتِ، يَفعَلُ في مُلكِه ما يُريدُ، ويَحكُمُ في خَلقِه ما يَشاءُ، وأنَّه المستحقُّ وحْدَه لكلِّ أنواعِ العِبادةِ دون ما سِواه. وأنْ تُؤمِنَ بالملائكةِ؛ وذلك بالتَصديقِ بجَميعِ مَلائكةِ اللهِ تعالَى؛ فمَن ثبَت تَعيينُه منهم –كجِبريلَ ومِيكائيلَ وإسرافيلَ– وجَبَ الإيمانُ به تَفصيلًا، ومَن لم يَثبُتْ آمنَّا به إجمالًا. وأنْ تُؤمِنَ بالكتُبِ؛ هو التَّصديقُ بأنَّ جميعَ الكُتُبِ المنزلةِ على الأنبياءِ والرُّسلِ كالتوارةِ والإنجيلِ والقُرآنِ، هي كَلامُ اللهِ، ومِن عندِه، وأنَّ ما تَضمَّنَتْه –ممَّا لم يُحرَّفْ– حَقٌّ، وأنَّ اللهَ أنزَلَ القرآنَ حاكِمًا على هذه الكتُبِ، ومُصدِّقًا لها، وأنَّه محفوظٌ مِن التحريفِ. وأنْ تُؤمِنَ برُسلِ اللهِ؛ وهو التصديقُ والإقرارُ بجميعِ رُسُلِ اللهِ، وأنَّهم صادِقون فيما أخبَروا به عن اللهِ تعالَى، وأنَّ اللهَ تعالى أيَّدَهم بالمُعجزاتِ الدَّالَّةِ على صِدقِهم، وأنَّهم بلَّغوا عن اللهِ رِسالتَه، وبيَّنوا للعِبادِ ما أمَرَهم ببَيانِه، وأنَّه يَجِبُ احترامُهم، وألَّا نُفرِّقَ بيْن أحدٍ منهم، والإيمانُ بأنَّ خاتمَهم نبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأنَّه يجبُ على كلِّ العالَمينَ الإيمانُ به واتباعُه.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآَخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ

" وَرُسُلِهِ " أي أن تؤمن برسل الله عزّ وجل، ولا بد من الإيمان بجميع الرسل، فلو آمن أحد برسوله وأنكر من سواه فإنه لم يؤمن برسوله، بل هو كافر، واقرأ قول الله عزّ وجل: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء:105]، مع أنهم إنما كذبوا نوحاً ولم يكن قبله رسول، لكن تكذيب واحد من الرسل تكذيب للجميع. وكذلك تكذيب واحد من الكتب في أنه نزل من عند الله تكذيب للجميع.

📝والمراد بالرسل من البشر، وليُعلم بأنه يعبر برسول ويعبّر بنبي، فهل معناهما واحد؟ الجواب: أما في القرآن فكل من ذكر من الأنبياء فهو رسول، فكلما وجدت في القرآن من نبي فهو رسول، لكن معنى النبي والرسول يختلف.

✉️والصواب فيه: أن النبي: هو من أوحي إليه بشرع وأمر بالعمل به، ولكن لم يؤمر بتبليغه، فهو نبي بمعنى مُخْبَر، مثاله: أدم عليه السلام أبو البشر نبي مكلف لكنه ليس برسول.

✉️فإذا قال قائل: لماذا لم يرسل؟ فالجواب: لأن الناس في ذلك الوقت كانوا أمة واحدة، قليلين وليس بينهم اختلاف، لم تتسع الدنيا ولم ينتشر البشر فكانوا متفقين فكفاهم أن يروا أباهم على عبادة ويتبعوه، ثم لما حصل الخلاف وانتشر الناس احتيج إلى الرسل، كما قال الله –تعالى–: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النبيين مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) [البقرة: 213]

📜قال السعدي: كان الناس كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون قبل نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم. السعدي

وهو قوله تعالى:(وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [نوح: 22]، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – "هذه أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ". صحيح بخاري

📝ومما سبق يُعلم خطأ المؤرّخين الذين قالوا: إن هناك رسولاً أو أكثر قبل نوح، فليس قبل نوح عليه السلام رسول بدليل قول الله تعالى:(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) (النساء: 163]، وقال الله عزّ وجل:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَاب) [الحديد: 26] أي في ذريتهم خاصة.

📝ومن السنة في قصة الشفاعة أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: (أَنْتَ أَوَّلُ رَسُوْلٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ)

سؤال من أول نبي ومن أول رسول؟ أول الأنبياء آدم عليه السلام، وأول الرسل نوح عليه السلام، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه، أن النبي -ﷺ-: سُئِلَ عن آدم أنبي هو؟ قال: (نعم نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ)، ولكنه ليس برسول لما جاء في حديث الشفاعة أن الناس يذهبون إلى نوح فيقولون: " أنت أول رسول بعثه الله إلى الأرض ".

فعقيدتنا أن أول الرسل نوحٌ عليه السلام، وآخرهم: محمد -ﷺ-.

فمن ادعى النبوة بعد محمد فحكمه أنه كافر، لقول الله تعالى: (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النبيينَ) [الأحزاب: 40]، فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله، ولا بد أن نؤمن بأنه خاتم النبيين.

والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أعلى طبقات البشر الذين أنعم الله عليهم، قال الله تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69] هذه أربعة أصناف.

فالنبيون يدخل فيهم الرسل وهو أفضل من الأنبياء، ثم الرسل أفضلهم خمسة هم أُولوا العزم، ذكروا في القرآن في موضعين في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى: ففي الأحزاب قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ...)[الأحزاب:7] وفي سورة الشورى قال الله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ...)[الشورى:13]، فسبحان الله، هذه وصية من الله للأولين والآخرين "أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ": فهي وصية بإقامة الدين وعدم التفرّق في الدين.

وأفضلهم محمد -ﷺ- كما قال النبي -ﷺ-: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ". صحيح مسلم، ولما التقى بهم في الإسراء أَمَّهم في الصلاة، فإبراهيم إمام الحنفاء صلى وراء محمد -ﷺ-، ومعلوم أنه لا يقدم في الإمامة إلا الأفضل، فالنبي -ﷺ- هو أفضل أولي العزم.

وإبراهيم الخليل عليه السلام يلي مرتبة النبي -ﷺ- الذي قال الله فيه: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [النساء:125]، والذي ابتلاه الله تعالى ببلية لا يصبر عليها إلا أولو العزم.

وقصّة ابتلاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه أتاه ابناً على كبر، ومعلوم أنه إذا أتى الفريد الوحيد ابنٌ على كبر، سيكون قلب أبيه في غاية المحبة للبشر، لما بلغ معه السعي فلم يكن طفلاً لا يهتم به، ولم يكن كبيراً انفرد بنفسه بل بلغ السعي، أي بدأ يمشي معه، تعلق قلبه به تماماً فامتحنه الله تعالى، بأن رأى في المنام أنه يذبح ابنه، ورؤيا الأنبياء وحي، فقال له: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ، فلم يخيره لكن أراد أن يمتحنه، فجاء الابن في غاية ما يكون من الامتثال والانقياد فقال: يا أبتِ افعل ما تؤمر، لم يقل يا أبت اذبحني، بل قال: افعل ما تؤمر حتى ينبّهه أنه يفعل هذا امتثالاً لأمر الله عزّ وجل ، افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فلم يجزم، بل قال: إن شاء الله، كما قال الله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [الكهف:23-24] فاتفق الأب والابن على الاستجابة لأمر الله، فلما أسلما أي استسلما لأمر الله، وتلّه أي أبوهُ للجبين أي على الأرض والجبين: الجبهة، وإنما تلّه على الجبين دون أن يذبحه مستلقياً لئلا يرى وجه ابنه والسكين تلوح على رقبته، فيخفف هو عن نفسه ويخفف أيضاً على الابن، فلماَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ جاء الفرج من الله عزّ وجل ، فرّج الله تعالى عنه:(وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[الصافات:104-105].

✉هذه المحبة لهذا الابن وهذا الابتلاء وهذا الامتثال التام يدل على أن محبة الله في قلب إبراهيم عليه السلام أعظم من محبة الولد، فكان إبراهيم خليل الله عزّ وجل ، أعطاه الله الخلة.

🗐 والخلّة: هي أعظم أنواع المحبة، والمحبة أنواعها عشرٌ، وقيل سبع، لكن أعلاها الخلّة، وفي هذا يقول الشاعر لمعشوقته: قدْ تخلَّلتِ مسلك الرّوحِ منّي وبذا سُمِّيَ الخليلُ خَليلا، لأن محبته تخللت مسلك الروح، العروق والعظام والمخ وكل شيء.

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: " سَمِعْتُ النبيَّ -ﷺ-قَبْلَ أنْ يَمُوتَ بخَمْسٍ، وهو يقولُ: إنِّي أبْرَأُ إلى اللهِ أنْ يَكونَ لي مِنكُم خَلِيلٌ، فإنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كما اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا مِن أُمَّتي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ خَلِيلًا". صحيح مسلم

✉وهناك كلمة شائعة عند الناس: يقولون: إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله وموسى كليم الله، ولا شك أن محمداً -ﷺ- حبيب الله فهو حابّ الله ومحبوب لله ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل الله، فالرسول -ﷺ-خليل الله والذين يقولون محمد حبيب الله قد هضموا حق الرسول -ﷺ-لأن المحبة أقل من الخلة، ولا نعلم من البشر خليلاً لله إلا اثنان: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وقوله: " وَالْيَومِ الآخِرِ " هو يوم القيامة، وسمي آخراً لأنه أخر مراحل بني آدم وغيرهم أيضاً، فالإنسان له أربع دور، في بطن أمه، وفي الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة وهو آخرها.

🗐قال ابن حجر رحمه الله في سبب تسميته باليوم الآخر: " فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة".

🖙وعلى هذا فالمراد باليوم الآخر أمران:

الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة بكاملها.

الثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها.

✉فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة.

مثل وقوفكَ يوم العرض عريانا *** مستوحشاً قلقَ الأحشاء حيراناَ

النار تلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ *** على العصاةِ وربُ العرش غَضباناَ

اقرأ كتابك يا عبدِ على مَهَلٍ *** فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا

☜عندما ضعف الإيمان بالله واليوم الآخر، نسينا أن هناك يوماً آخر ولقاء أمام ملك الملوك للجزاء والحساب، ففسدت قيمنا وساءت تصرفاتنا وتجرأنا على الحرام، وانتهكنا الحدود وقتلت النفس المعصومة، وتعامل الكثير بالرشوة وشهادة الزور، وقصر الوالد في تربيته لأولاده، عق الابن أباه وهجر الأخ أخاه وضيعت الأمانات وظهرت الخيانات وحاد القاضي عن الحق، وضيع الحاكم رعيته.

✉إن الإيمان بالله واليوم الآخر يردع صاحبه ويهديه إلى الحق، فعن أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله –ﷺ– في مواريث بينهما قد درست ليس بينهما بينة، فقال رسول الله –ﷺ–: " إنَّما أنا بَشَرٌ وإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ ألْحَنَ بحُجَّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأقْضِي علَى نَحْوِ ما أسْمَعُ، فمَن قَضَيْتُ له مِن حَقِّ أخِيهِ شيئًا، فلا يَأْخُذْهُ فإنَّما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النَّارِ ". صحيح البخاري

✉فارتعب الرجلان وخافا لأن هناك يومٌ آخر لا مفر منه ولأن المطلع على ما في الضمائر هو الله الذي لا تخفى عليه خافية، فبكى الرجلان، وقال كل واحد منهما: حقي لأخي! فقال رسول الله –ﷺ–: " أما إذا قلتُما فاذهبا فاقتَسِما، ثم توَخَّيَا الحقَّ، ثم استهِما، ثم لِيُحلِلْ كلُّ واحدٍ منكما صاحبَه" واللفظُ لأحمدَ

✉إن الإيمان بالله واليوم الآخر يهذب النفوس ويقوم السلوك؛ ويستقيم به ظاهرنا وباطنا، لأن العبد يربط كل حركاته وسكناته بالأجر والمثوبة من الله يوم القيامة عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"صحيح بخاري

✉الإيمان بالله واليوم الآخر يجلب للعبد الراحة والثقة واليقين بربه وعدله وكرمه وسعة رحمته، ومهما ناله في هذه الدنيا من ابتلاء ومحن وفتن ومصائب فإن نعيم الآخرة يجبر كل مصاب ويهون كل بلاء، قال –تعالى– :(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزُّمر:10]

قال رسول الله –ﷺ–" ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا، مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ". صحيح مسلم

✉جاء رجل إلى الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ليكتب له عقد بيت اشتراه، فنظر علي إلى الرجل فوجد أن الدنيا متربعة عَلَى قلبه، وقد فتن بها وغرته أمواله، فأراد الإمام علي أن يوصل له رسالة توقظه من غفلته فكتب: "اشترى ميت من ميت بيتا في دار المذنبين له أربعة حدود، الحد الأول يؤدي إلى الموت، والحد الثاني يؤدي إلى القبر، والحد الثالث يؤدي إلى الحساب، والحد الرابع يؤدي إما لجنة وإما لنار". فقال الرجل: ما جئتك لهذا يا إمام، فقال له الإمام علي

النَفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت *** إِنَّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فيها

لا دارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يَسكُنُها *** إِلّا الَّتي كانَ قَبلَ المَوتِ بانيها

فَإِن بَناها بِخَيرٍ طابَ مَسكَنُها *** وَإِن بَناها بَشَرٍّ خابَ بانيها

أَينَ المُلوكُ الَّتي كانَت مُسَلطَنَةً *** حَتّى سَقاها بِكَأسِ المَوتِ ساقيها

أَموالُنا لِذَوي الميراثِ نَجمَعُها *** وَدورُنا لِخرابِ الدَهرِ نَبنيها

كَم مِن مَدائِنَ في الآفاقِ قَد بُنِيَت *** أَمسَت خَراباً وَدانَ المَوتُ دانيها

لا تَرْكَنَنَّ إلى الدُّنيـا وما فيها *** فالمَوْتُ لاشكَّ يُفْنِيْنا ويُفْنِيْها

واعْمَلْ لدارٍ غداً رضوانُ خـادِمُها *** والجـارُ أحْمَدُ والرَّحْمنُ ناشِيْها

مَنْ يشْتري الدارَ في الفِرْدَوسِ يعْمُرها *** بِرَكْعَـةٍ في ظـلامِ اللَّيْلِ يُحْيْها

فقال الرجل لعلي –رضي الله عنه–: أشهدك أني قد جعلتها لله ورسوله.

الإيمان باليوم الآخر يتضمّن:

أولاً: الإيمان بوقوعه، وأن الله يبعث من في القبور، وهو إحياؤهم حين ينفخ في الصور، ويقوم الناس لرب العالمين، قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) [المؤمنون:16]، وأنه واقع لا محالة، لأن الله تعالى أخبر به في كتابه وكذلك في السنة.

في بَيان كيفيَّة البعث جاء حديثُ أبي هريرة رضِي الله عنه الذي أخرَجَه الشيخان أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: «ما بيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ، قالَ: أرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قالَ: أرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قالَ: أرْبَعُونَ سَنَةً؟ قالَ: أبَيْتُ، قالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليسَ مِنَ الإنْسانِ شَيءٌ إلَّا يَبْلَى، إلَّا عَظْمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَومَ القيامة". صحيح البخاري

فإذا أراد الله بعْث الخلائق أنزَل من السماء ماءً – جاء في بعض الروايات صفته أنَّه كمَنِيِّ الرِّجال . فينبت أهلُ القبور من ذلك الماء، فإذا تَمَّ خلقهم نفخ في الصُّور النفخة الثانية، فطارت أرواحُهم إلى أجسادهم، وانشقَّت الأرضُ عنهم، فخرَجُوا من قُبورهم سِراعًا إلى أرض المحشر؛ لحِسابهم والقَضاء بينهم وجَزائهم: (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ...) [القمر : 8].

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به وبين الإيمان باليوم الآخر، لأن من لم يؤمن باليوم الآخر لا يعمل، إذ إنه يرى أن لا حساب.

ثانياً: الإيمان بكل ما ذكره الله في كتابه وما صح عن النبي -ﷺ- مما يكون في ذلك اليوم الآخر، من كون الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً، أي ليس معهم مال، وهذا كقوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) [الانبياء: 104]، وقال النبي -ﷺ-:" يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلًا قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، النِّساءُ والرِّجالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ، قالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: يا عائِشَةُ الأمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ". رواه مسلم

ثالثاً: الإيمان بما ذكر في اليوم الآخر من الحوض، والشفاعة، والصراط، والجنة، والنار، فالجنة دار النعيم، والنار دار العذاب الشديد.

رابعاً: الإيمان بنعيم القبر وعذابه، لأن ذلك ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– في العقيدة الواسطية: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعد الموت مثل الفتنة في القبر فإن الناس يفتنون في قبورهم ويسألون عن ثلاثة أشياء: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟

وهنا ننبّه على ما نسمعه من قول بعض الناس أو نقرأه في بعض الصحف إذا مات إنسان قالوا: انتقل إلى مثواه الأخير، وهذا غلط عظيم، ولولا أننا لا نعلم مراد قائله لقلنا: إنه ينكر البعث، لأنه إذا كان القبر مثواه الأخير، فهذا يتضمن إنكار البعث، فالمسألة خطيرة لكن بعض الناس إمّعة، إذا قال الناس قولاً أخذ به وهو لا يتأمل في معناه.

والإيمان باليوم الآخر الذي هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم، وهناك من أنكره، مثل المشركين، والملحدين

وقد أنكر البعث كل المشركين، قال الله عزّ وجل: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [يّس:78]، أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : جاء العاص بن وائل إلى رسول الله –ﷺ– بعظم حائل ، ففتّه ، فقال : يا محمد : أيُبعث هذا بعدما أرَمَّ ؟ قال : نعم ، يبعث الله هذا ، ثم يميتك ، ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم ، فنزلت الآيات : (أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) [يس:77] إلى آخر السورة، ثم أقام الله سبحانه وتعالى الدليل القاطع، والبرهان الساطع، على البعث والنشور، فأجاب الله عزّ وجل بأن أمر نبيه أن يقول: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[يّس:79] فهذا دليل، ووجه كونه دليلاً: أن القادر على الإيجاد قادر على الإعادة، وقال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه)[الروم: 27] فإذا كان ابتداء الخلق هيناً وأنتم أيها المشركون تقرون به فإعادته أهون، والكل هين على الله عزّ وجل وهذا الدليل الأول في الرد على منكري البعث.

الدليل الثاني: قوله تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) يعلم كيف يخلق عزّ وجل ويقدر على خلقه، فكيف تقولون إن هذا ممتنع؟ ثم قال تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم)[يس:80] أي جعل لكم أيها المنكرون ولغيركم، (مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً)[يّس: 80] معنى الآية: أن في بلاد الحجاز شجراً يقال له المرخ والعفار يضربونه بالزند ثم يشتعل ناراً، مع أنه أخضر ورطب وبارد أبعد ما يكون عن النار، ومع ذلك تخلق منه النار، فالقادر على أن يخلق من الشيء ضده قادر على أن يعيد الشيء نفسه، ثم قال سبحانه وتعالى: (فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)[يّس: 80] وهذا إلزام لهم، وليس أمراً غريباً عليكم بل أنتم تستعملونه.

الدليل الثالث: من الأدلة في الرد على منكري البعث قول الله تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) [يّس:81] فالجواب: (بَلَى) [يس:81] وقد أجاب سبحانه وتعالى نفسه، لأنَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ (وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)[يس:81] أي ذو الخلق التام مع القدرة التامة : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يّس:82) من كان أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فلا يعجزه شيء، فإن أمر موجوداً أن يعدم عدِم، أو معدوماً أن يوجد وُجِد مهما كان.

✉المهم أنه يجب علينا أن نؤمن باليوم الآخر وإن كانت العقول الضعيفة تستبعده، لأن الله تعالى إذا أمر حصل هذا فوراً، كما قال تعالى: (إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً)[يّس: 531] فبصيحة واحدة تأتي الخلائق كلها.

✉من كان يؤمن باليوم الاخر، يستعد بالعمل للقاء الله والوقوف بين يديه، خرج هارون الرشيد يوماً في رحلة صيد، فمرّ برجل يقال له بُهلول قد اعتزل الناس وعاش وحيداً، فقال هارون: عظني يا بُهلول، قال" :يا أمير المؤمنين!! أين آباؤك وأجدادك؟ من لدن رسول الله -ﷺ- إلى أبيك؟" قال هارون: ماتوا، قال: فأين قصورهم؟ قال: تلك قصورهم، قال: وأين قبورهم؟ قال: هذه قبورهم، فقال بُهلول" :تلك قصورهم، وهذه قبورهم، فما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟ "قال: صدقت، زدني يا بهلول، قال" :أما قصورك في الدنيا فواسعة، فليت قبرك بعد الموت يتسع " فبكى هارون وقال: زدني فقال" :يا أمير المؤمنين: قد ولاك الله فلا يرى منك تقصير ولا تفريط " فزاد بكاءه وقال: زدني يا بهلول، فقال: يا أمير المؤمنين :هب أنك ملكت كنوز كسرى *** وعُمرت السنين فكان ماذا؟ أليس القبر غاية كل حيٍ *** وتُسأل بعده عن كل هذا؟ قال: بلى، ثم رجع هارون ولم يكمل رحلة الصيد تلك، وانطرح على فراشه مريضاً، ولم تمضِ عليه أيام حتى نزل به الموت .

" وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " وهنا أعاد –ﷺ– الفعل: (تؤمن) لأهمية الإيمان بالقدر، ولأن الإيمان بالقدر مهم جداً، وخطير جداً.

✉فالإيمان في اللغة: التصديق.

✉اصطلاحا: الإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعَقْدٌ بالجَنَان"، والمقصود بالأركان: الجوارح، والجَنان هو: القلب، فيكون الإيمان: اعتقاد وقول وعمل؛ اعتقاد بالقلْب، وقوْل باللِّسان، وعمَل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

✉كلما زاد التصديق زاد الايمان الذي يحرك الجوارح بالطاعات على حسب قوته، وهذا يفسر لنا ما نراه بأعيننا، عندما نشاهد كبير السن يقوم خلف الامام مهما طال القيام ويصبر على الصيام، ونجد الشاب في مقتبل العمر وقوته، يعجز عن اليسير من القيام والصيام، والسر يعود الى قوة القلب وضعفه فكلما قويت قلوبنا حملت أبداننا، وكلما ضعفت قلوبنا ضعفت عن حمل الابدان.

❍مثال: عمر – رضي الله عنه– سمع قارئًا يقرأ أول آيات من سورة الطور حتى وصل القارئ إلى قوله تعالى: (...إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ)، فَخَرَّ مغشيا عليه أياماً، ولا أحد يعرف مرض أمير المؤمنين هذا التصديق الجازم الذي لا شك فيه.

❍عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي –ﷺ– بآية حتى أصبح يرددها، والآية (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) [المائدة:118]

(وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

قال رسول الله –ﷺ–: "«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ»" رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ

✉العلم التام والتصديق الجازم، ان الله ينصب وجهه تلقاء وجه المصلي، وهذا يملئ القلب إخبات وحياء من الله، فيستحي أن يلتفت بقلبه او وجهه عن مولاه، فيطمئن ويخشع ويقف ساكن بقلبه وجوارحه، يتلذذ بمنجاة ربه، ومستأنس أن الله تلقاء وجهه.

✉واعلمي وفقك الله أن حقيقة الإيمان بالقضاء هي: التصديق الجازم بأن كل ما يقع في هذا الكون فهو بتقدير الله تعالى.

أولاً: معنى القضاء والقدر في اللغة: القضاء لغة: هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وأما القدر فهو في اللغة: بمعنى التقدير.

ثانياً: تعريف القضاء والقدر في الشرع: القدَر: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخَلْقُه لها.

ثالثاً: هل هناك فرق بين القضاء والقدر؟ من العلماء من فرق بينهما، ولعل الأقرب أنه لا فرق بين (القضاء)و (القدر) في المعنى فكلٌ منهما يدل على معنى الآخر، ولا يوجد دليل واضح في الكتاب والسنة يدل على التفريق بينهما.

رابعاً: منزلة الإيمان بالقدر من الدين: الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان ولا يتم إيمان أحد إلا به، ورد في قوله –ﷺ–عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " وقد ورد ذكر القدر في القرآن في قوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر:49]، وقوله تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) [الأحزاب:38].

✉وبداية هذا الحديث لم ترد في الاربعين النووية، وهو ما جاء في الصحيحين وغيرهما، وهذا لفظ الإمام مسلم –رحمه الله تعالى– في صحيحه، فقد روى بإسناده عن يحيى بن يعمر قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ...

❍(أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ) معناه أول من قال بنفي القدر.

❍ما هو مذهب القدرية؟ إنكار كون البارئ تعالى عالما بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم، وإنما يعلمها بعد كونها.

❍ما هو مذهب أهل الحق؟ إثبات القدر ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدره سبحانه قال –تعالى–: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49]

خامساً: مراتب الإيمان بالقدر: اعلم وفقك الله لرضاه أن الإيمان بالقدر لا يتم حتى تؤمن بهذه المراتب الأربع وهي:

❶مرتبة العلم: وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأن الله قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون بعلمه

القديم، وأدلة هذا كثيرة منها قوله تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) [الحشر:22]، وقوله تعالى:(وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق:12]،قال تعالى:(وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[يونس: 61]

❁يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ.

🗁مثال: يعلم من ينتفع بالآيات ويقبل الهدى ويقبل عليه ويعلم من لا ينتفع ولو جاءتهم كل اية ويعرض ويدبر، الذي يقبل الحق يهتدي والذي يجحد به يضل، قال –تعالى–:(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [الأنعام:28] ، وقال –تعالى–:(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ)[الأنفال:23]، وقال –تعالى–: (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[يونس:99]، وبالمقابل يعطي من يقبل عليه اضعاف ما سأله من الايمان قال –تعالى– : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)[محمد:17]

وهذه الآية في قوله –تعالى–: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام:59]

🖃تدل على كمال الإحاطة والعلم، فضلا على أن هذه الأمور لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب، فكيف بالأمور التي يترتب عليها الثواب والعقاب؟ إذا سقطت ورقة يعلمها فهل إذا وقعت زلة أو خطيئة من المكلف لن يعلمها حاشاه سبحانه، (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) [إبراهيم:38]

❷مرتبة الكتابة: وهي الإيمان بأن الله كتب مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ.

عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله –ﷺ– يقول:" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ". صحيح مسلم

وقوله –ﷺ–: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " رواه مسلم، وقال –تعالى–:(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [الأنعام: 38]، وقال –تعالى–: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) [يس: 12]، وقال –عز وجل–: (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) [القمر : 52]

🖃هذه المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر وهذه المرتبة ألا وهي مرتبة الإيمان بالكتابة يدخل فيها الإيمان بخمسة تقادير:

1–التقدير الأول: هو التقدير الأزلي قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما ذكرنا في الحديث السابق أن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن تخلق السموات والأرض ، قال –تعالى–: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحديد: 22] هذا هو التقدير الأزلي... وقال -تعالى-: (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [التوبة: 51]

2-التقدير الثاني: هو التقدير في يوم الميثاق، (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)[الأعراف: 172-173]، وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.

3- التقدير الثالث التقدير العُمُري: التقدير العمري الذي عند أول تخليق النطفة

وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ويُقَالُ له: اكْتُبْ عَمَلَهُ، ورِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ) صحيح البخاري، وهذه الكتابة العُمرية هي تفصيلٌ لما في اللوح المحفوظ، لأنَّ الذي في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات، وهذا مُتعلِقٌ بهذا المخلوق المعين وحده.

4- التقدير الرابع السنوي (التقدير الحولي أو الكتابة السنوية أو الحولية): قال تعالى:(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان: 4]، فإنه يكتب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير، والشر، والأرزاق.

رُوي هذا عن ابن عمر، وابن عباس، وكذا الحسن البصري: قيل: يكتب فيها (أي هذه الليلة) ما يحدث في السنة من موت وحياة، وعز وذل، ورزق ومطر، حتى الحجاج يُقال: يحج فلان، ويحج فلان.

5 - التقدير اليومي (الكتابة اليومية): وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها، وهو التطبيق العملي والواقعي للكتابة السنوية، لقوله تعالى:(يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن: 29]، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي قَوْلِهِ:(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قَالَ:(مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفَرِّجَ كَرْبًا ويرفع قوماً ويضع آخرين).

قال الشيخ السعدي:(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) يغني فقيراً، ويجبر كسيراً، ويعطي قوماً، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن.

كتابة الأعمال: مما تقدم فإن كتابة الأعمال (وهي المرتبة الثانية من مراتب القدر)؛ وهذه الكتابة تسمى الكتابة السابقة، أما الكتابة اللاحقة فهي الكتابة التي تكتبها الملائكة الكرام، والفرق بينهما هو:(أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) [يس: 12] الكتابة السابقة، مكتوبة في اللوح المحفوظ، تكون قبل العمل لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب، قال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)[الانفطار: 10-12]، الكتابة اللاحقة، تكتبها الملائكة الكرام بعد عمل الانسان، تكون بعد العمل، يترتب عليها ثواب وعقاب.

❸مرتبة الإرادة والمشيئة: وهي الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته شيء، والدليل قوله -تعالى-: (وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [الكهف:23، 24] وقوله -تعالى-: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التكوير:29]، وقوله -تعالى-: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس: 82] وقوله -تعالى- :(قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) [الرعد:27] وقوله -تعالى-: (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [المدثر:31]

والذي يهدي من يشاء-سبحانه وتعالى-، الهداية بيده -جل وعلا- يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ليس بيد العبد، العبد ليس بيده إلا دعاء الله والضراعة إليه، والعمل بطاعته، والجد في الطاعة والله الموفق يهدي من يشاء ويضل من يشاء، له الحكمة البالغة- سبحانه وتعالى- ولكن العبد يسأل ربه الهداية، كما قال تعالى سورة الفاتحة: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، والله يقول-جل وعلا-:"ياعِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ" صحيح مسلم، هكذا جاء في الحديث الصحيح القدسي، فالعبد يسأل ربه الهداية والتوفيق والصلاح، ويحرص على أسباب الخير، ويصحب الأخيار هكذا، ويسأل ربه الهداية ربنا هو الذي يهدي من يشاء). ابن باز رحمه الله تعالى

يجب علينا أن نأخذ بالأسباب، ولا نحتج بالقدر بأن الله كتب، لان الناس في المعاصي تقول لو شاء الله لهدنا ولا تسلك أي طريق للهداية (حماية الدين يقولون الله يهدينا دون أخذ الأسباب)، لكن عند الاحتياجات والشهوات لا تترك طريق الا سلكته (حماية الدنيا لا نترك سبب الا نأخذه).

❍ومثال: يكتب الله لبعض الناس التأخر في إنجاب الاطفال تجده ما يترك طبيب ولا طب عربي ولا وسيلة ويدفع الاموال لأجل الولد، وهذا نفسه يعمل في بنك ربوي لا يرفع سماعة التلفون يسأل العلماء حلال أو حرام ويقول هذا ما كتب لي من عمل.

اثبات مرتبة المشيئة فيدل على أن ما يقع من المعاصي، والطاعات يقع بمشيئة الله لحكمة يعلمها هو، ونذكر مثال لتقريب المقصود: تخيل بأن الشرطة تُراقب بائعاً للمخدرات، فهي تدعه يصنع ما يشاء إلى أن يقبضوا عليه مُتلبساً ببيعها، فهم لا يحبون فعله، ومع ذلك كانوا يتركونه يصنع ما يشاء تحت ناظرهم، وما فعل ذلك إلا بعد مشيئتهم، ولكنهم تركوه لحكمة، وهي أن يأخذوه بجرمه، ولله المثل الأعلى هو سبحانه لا يحب أن يعصى ، لكن العباد أبوا الا ان يعصوه ويتمردوا على شرعه ، يراهم ويسمعهم ويتركهم ، ليأخذهم بجرمهم ويقيم الحجة عليهم .

📝ومن الاخذ بالأسباب لحماية الدين السعي للعلم الشرعي، وصحبة الأخيار، والبعد عن مواطن المعاصي، وأعظم الأسباب الدعاء لا تتحرك خطوة حتى تدعوا الله ان يلهمك رشدك ويقيك شر نفسك.

قال –ﷺ–:"لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ". صحيح الترمذي، الدعاء سبب في حصول الخير، ودفع ورفع الشر، وقال –ﷺ–:" لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» " رواه الحاكم، وحسنه الألباني.

📝والدعاء: هو العبادة التي تدفع وترفع وتنفع فيما نزل وفيما لم ينزل.

📝قال الشيخ العثيمين: يقول رب العالمين عزّ وجل: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)، اللوح المحفوظ ليس فيه محو ولا كتاب، فما كتب في اللوح المحفوظ فهو كائن ولا تغيير فيه، لكن ما كتب في الصحف التي في أيدي الملائكة فهذا: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) هـ.

📝هذا معنى ما روى عن عمر أنه قال: "اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا، فإنك تمحوا ما تشاء وتثبت".

❹مرتبة الخلق: وهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، لقوله تعالى:(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الزمر:62] وقوله –تعالى–:(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [الصافات:96]، إثبات لمرتبة الخلق فالله خالق كل شيء ومن هذا أفعال العباد، وقال الله –تعالى–:(قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)[الرعد: 16]

📝ما الهدف من معرفة هذه الحقيقة في مراتب القضاء والقدر، أنه علم، كتب، شاء، خلق؟

✉حتى يصبح في قلوبنا يقين أن ما أصابنا لم يكن لخطئنا كما قال –تعالى–: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)، ما أصابكم– أيها الناس– من مصيبة في الأرض هي السنون، يعني: الجدب أو الزلازل والأعاصير والبراكين ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أي : أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها ، وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل ; لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

✉قيمة هذه الحقيقة في النفس البشرية الايمان بالقضاء والقدر: ونحن سائرون في هذه الحياة مسافرون لرب الأرض والسَّماء نَمُرُّ باختبارات شَتَّى بِكُل لحظة، ابتِلاءات وفِتَن صَعبة، عَقَبات ومِحَن مُختلفة... أحداث وحوادث مُتَعاقِبة، عِبَادات، مُعامَلات، ومواقف مُتلاحِقة.... لماذا الألم والبلاء؟ الجواب: تتكشف بها... 1- حقيقة توحيدك،2- إيمان قلبِك، 3- يقينك بربّك،4- ثباتك وصِدق غايتك..

✉تظهر لنا الحكمة من البلاء في هذا المثل القرآني: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) [الرعد:17]

🗐وضرب الله لنا مثلا يعتبر به اولي الالباب : المعادن التي يوقِدون عليها النار لصهرها طلبًا للزينة كما في الذهب والفضة، فيخرج منها خبثها مما لا فائدة ويبقى الطيب المفيد ، و كذلك هي القلوب ، تكوى بنار الألم والبلاء، ليخرج منها الزبد ، التعلقات الزائفة من حب الدنيا، و اتباع الهوى ،وطاعة النفس و الشيطان ، تأتي نار تحرق وتكوي وتؤلم ، لكن العاقبة حميدة ، يجني العبد من هذا البلاء العافية من حب الباطل والتعلق به ، فيزول الباطل ويضمحل ويبقى الحق ويدوم ، من حب الله وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتعلق بالدين والاستعداد للقاء الله واليوم الآخر.

🖒**تأثير الايمان بالقضاء والقدر على النفس:**

❶- أن تسكب فيها السكون والطمأنينة والخشوع والخضوع عند استقبال الأحداث خيرها وشرها فلا يأسى على فائت أساً يضعفه ويزلزله ولا يفرح بحاصل فرحاً يستخفه ويذهله، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ...﴾ [الحديد:23]

❷- أن تسكب فيها القوة والشجاعة: المؤمن مؤمن أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبه:51]

📝يسموا العبد ويرتقي بإيمانه بالقضاء والقدر، وتعلو همته ويصبح ويمسي وهمه واحد سلامة دينه لا دنياه، فلا يبالي على دنيا فانية، ويبكي على جنة باقية، مثل هذه المرأة المؤمنة التي لم تبالي بفقد الزوج والولد والاخ، وجمعت همها على سلامة الرسول -ﷺ-لان به سلامة الدين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : " لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ حَاصَ أَهْلُ

الْمَدِينَةِ حَيْصَةً ، قَالُوا : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، حَتَّى كَثُرَتِ الصَّوَارِخُ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مُتَحَزِّمَةً ، فَاسْتُقْبِلَتْ بِابْنِهَا وَأَبِيهَا وَزَوْجِهَا وأَخِيها ، لَا أَدْرِي أَيُّهُمُ اسْتُقْبِلَتْ بِهِ أَوَّلَ ، فَلَمَّا مَرَّتْ عَلَى آخِرِهِمْ قَالَتْ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا: أَبُوكِ، أَخُوكِ، زَوْجُكِ، ابْنُكِ، تَقُولُ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-؟ يَقُولُونَ: أَمَامَكِ حَتَّى دُفِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَأَخَذَتْ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُبَالِي إِذْ سَلِمْتَ مَنْ عَطِبَ " المعجم الأوسط للطبراني

❸-الأخذ بالأسباب لنصرة الدين: فيقدم على نصره الحق والجهاد في سبيله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، حتى لو خوفه أولياء الشيطان، أن هذا الطريق وعر شاق فيه قتلك، أو تخسر عملك، أو تدمير حياتك، يعلم أنهم لن يستطيعوا لذلك سبيلا إلا إذا شاء الله وحده، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:175]

❹-عدم اليأس والقنوط: (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[يوسف: 87] ، ولا يكون التسليم بالقدر إلا بعد أن يبذل الإنسان وسعه في سلوك الطرق المؤدية إلى الخير، وإذا لم يصل الإنسان إلى ما يهدف إليه فعليه أن يقول: "قدر الله وما شاء فعل"، كما قال رسول الله -ﷺ-: " الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ". صحيح مسلم

❺حصول اليقين في القلب: ولن يجد المسلم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، عن عبد الله ابن عباس عن الرسول -ﷺ-:"... وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ". صحيح الترمذي

✉ إذن الإيمان بالقدر يتضمّن أربعة أمور:

الأول: أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً.

ثانياً: الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ.

ثالثاً: أن تؤمن بأن كل ما حدث في الكون فهو بمشيئة الله تعالى، فلا يخرج شيء عن مشيئته أبداً.

رابعاً: الخلق ومعناه: الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء، فنؤمن بعموم خلق الله تعالى لكل شيء.

❍فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِه، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِر، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ

" قَالَ: صَدَقْتَ " القائل جبريل عليه السلام.

❍قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ

✉الإحسان مصدر أحسن يحسن، وهو بذل الخير.

❍والإحسان في حق الخالق: بأن تبني عبادتك على الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسول الله –ﷺ–، وكلما كنت أخلص وأتبع كنت أحسن.

❍وأما الإحسان للخلق: فهو بذل الخير لهم من مال أوجاه أو غير ذلك.

🗐يقول الحسن البصري– رحمه الله–:" بأنه كف الأذى وبذل الندى، وطلاقة الوجه".

فقال النبي –ﷺ–: "الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ"، وعبادة الله لا تتحقق إلا بأمرين وهما: الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله –ﷺ–، أي عبادة الإنسان ربه سبحانه كأنه يراه.

❁المرتبة الأولى: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ" (المشاهدة والطلب): عبادة طلب وشوق، يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرّب إليه سبحانه وتعالى.

❁المرتبة الثانية: "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (المراقبة والهرب): أي: اعبده على وجه الخوف و لا تخالفه، لأنك إن خالفته فإنه يراك فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، كما قال عزّ وجل: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) [آل عمران: 30] وهذه الدرجة عند أهل العبادة أدنى من الدرجة الأولى.

🖙فصار للإحسان مرتبتان: مرتبة الطلب، ومرتبة الهرب.

⇦مرتبة الطلب: أن تعبد الله كأنك تراه.

⇦ومرتبة الهرب: أن تعبد الله وهو يراك عز وجل فاحذره، كما قال– تعالى–(وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ)

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ" لم يُعِد قوله صدقت اكتفاءً بالأولى.

✉والساعة هي: قيام الناس من قبورهم لرب العالمين، يعني البعث، وسميت ساعة لأنها داهية عظيمة، قال الله عزّ وجل:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) [الحج:1]

✉ذكر الله –تعالى– في كتابه الكريم العديد من الأسماء ليوم القيامة، وكلّ هذه الأسماء تدلّ على عِظَم هذا اليوم وتعكس حقيقته، ومن أسماء يوم القيامة الواردة في القرآن الكريم نذكر بعضها: يوم البعث، القارعة، الصّاخة، الطّامة الكبرى، الآزفة، الحاقّة، الواقعة، الساعة، يوم الفَصل، يوم الدّين، الغاشية، يوم الخروج، يوم الحَسرة، يوم الوعيد.....وغيرها

📠لماذا سمي يوم القيامة بالساعة؟ لعدة أسباب:

1– إما لقربها، ومهما كانت بعيدة فهي قريبة فإن كل ما هو آتٍ قريب، أي شيء سوف يأتي فهو قريب، وإن جاء اليوم أو غداً أو بعده.

2– وإما أن تكون تسميتها بهذا للدلالة على ما فيها من الأحداث الضخمة التي تصهر الجلود، وتذيب الجبال، حتى تصير كالهباء.

3– وقيل: إنما سميت بالساعة؛ لأنها تأتي بغتة، أو في لحظة، أو في ساعة معينة وإذا بالقيامة قد قامت، والناس غير منتبهين لتلك الأحداث.

فقال النبي –ﷺ– "مَا المَسْؤُوْلُ عَنْهَا يعني نفسه –ﷺ– بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" يعني جبريل عليه السلام، والمعنى: إذا كنت تجهلها فأنا أجهلها ولا أستطيع أن أخبرك به، لأن علم الساعة مما اختص الله به عزّ وجل، قال الله تعالى:(يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً)[الأحزاب:63]،وقال عزّ وجل: (يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً)[الأعراف: 187]

🗁ولهذا يجب علينا أن نكذب كل من حدد عمر الدنيا في المستقبل، ومن قال به أو صدق به فهو كافر. وما نسمع عن بعض أهل الشعوذة أن عمر الدنيا كذا وكذا قياساً على ما مضى منها فإنه يجب علينا أن نقول بألسنتنا وقلوبنا كذبتم، ومن صدّق بذلك فهو كافر، لأنه إذا كان أعلم الرسل البشرية، وأعظم الرسل الملكية كلاهما لا يعرفان متى تكون فمن دونهما من باب أولى بلا شك.

ولَمَا قال النبي -ﷺ-:" مَا الْمَسئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ "، ثم قال: أَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا أي علامات قربها، لأن الأمارة بمعنى العلامة، والمراد أمارات قربها وهو ما يعرف بالأشراط، قال الله عزّ وجل: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) [محمد: 18]

وأشراط الساعة قسّمها العلماء إلى ثلاثة أقسام:

1-أشراط مضت وانتهت.

2-أشراط لم تزل تتجدد وهي الوسطى.

3- أشراط كبرى تكون عند قرب قيام الساعة.

لعل السمة العامة البارزة لآخر الزمان هو الخروج عن المألوف، ومخالفة المعهود الذي اعتاد الناس حصوله واعتبروه نمطاً من أنماط الحياة، فالتغيّرات الحاصلة فيه هي التي ستشكّل العلامة على قرب نهاية الدنيا وقيام الساعة.

ومن علامات الساعة ما ذكره -ﷺ- في هذا الحديث بقوله: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وفي لفظ: ربَّهَا، والمعنى: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ أي الرقيقة المملوكة رَبَّهَا أي سيدها، أو: ربَّتَهَا هل المراد العين أو الجنس؟ والجواب: اختلف في هذا العلماء.

فمنهم من قال: المراد أن تلد الأمة ربها، يعني أن تلد الأمة من يكون سيداً لغيرها لا لها، فيكون المراد بالأمة: الأمة بالجنس.

وقيل المعنى: إن الأمة بالعين تلد سيدها أو سيدتها، بحيث يكون الملك قد أولد أمته، ومعنى أولدها أي أنجب منها، فيكون هذا الولد الذي أنجبته سيداً لها: إما لأن أباه سيدها، وإما لأنه سوف يخلف أباه فيكون سيداً لها.

ولكن المعنى الأول أقوى، أن الإماء يلدن -من يكونوا أسياداً ومالكين، فهي كانت مملوكة في الأول، وتلد من يكونوا أسياداً مالكين.

قيل: أي في معنى تلد الأمة ربها، أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازا كذلك، ليس من كلام العثيمين رحمه الله ...

✉وهو كناية عن تغير الحال بسرعة، ويدل لهذا ما ذكره بعد حيث قال: ⇦لهذا ما ذكره بعدْ ذلك حيث قال: "وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ ": يعني ليس لهم نعال، والعراة: أي ليس لهم ثياب تكسوهم وتكفيهم، العالة: أي ليس عندهم ما يأكلون من النفقة أو السكنى أو ما أشبه ذلك، عالة أي فقراء.

"يَتَطَاوَلُوْنَ في البُنْيَانِ": أي يكونون أغنياء حتى يتطاولون في البنيان أيهم أطول.

✉وهل المراد بالتطاول ارتفاعاً، أو جمالاً، أو كلاهما؟ الجواب: كلاهما، أي يتطاولون في البنيان أيهم أعلى، ويتطاولون في البنيان أيهم أحسن، وهم في الأول فقراء لا يجدون شيئاً، لكن تغير الحال بسرعة مما يدل على قرب الساعة.

"ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً": يعني بقيت ملياً أي مدة طويلة كما في قوله تعالى:(وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً)[مريم: 46] أي مدة طويلة، قيل ثلاثة أيام، وقيل أكثر، وقيل: أقل ولكن المعروف أن الملي يعني الزمن الطويل.

"ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ": والقائل النبي -ﷺ- "أَتَدْرِيْ من السَّائِل؟ قُلتُ: اللهُ وَرَسُوْله أَعْلَمُ"، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ، ولعل النبي -ﷺ- وجده فيما بعد وسأله: أتدري من السائل؟ أي أتعلم من هو؟ فَقَالَ عُمَرُ: اللهُ وَرَسُوْلهُ أَعْلَمُ وهذا يدل على أن عمر رضي الله عنه لا علم له من هذا السائل. فقال النبي -ﷺ-: فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ الإشارة هنا إلى شيء معلوم بالذهن، أي هذا جبريل "أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ" لكنه جاء بهذه الصيغة أي صيغة السؤال والجواب لأنه أمكن في النفس وأقوى في التأثير.

المرجع: الأربعين النووية شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بتصرف